

الناتو يجب أن يتخلى عن ممارساته النازية إزاء المسألة الأوكرانية... وعلى المجتمع الدولي حل هذه المنظمة

إعداد: ليلى زيدان عبد الخالق

هل تدق طبول الحرب العالمية الثالثة؟ فمن مثير للاهتمام أن نرى كيف تعمل الولايات المتحدة على وضع حد لجموح بوتين. إنها ببساطة عدوانية لا يمكن السكوت عنها، فالسؤال المشروع عن مدى قدرة أوكرانيا في تحقيق السيادة؟ أو بالأحرى: لماذا على أوكرانيا التخلي عن تمسكها بمقاطعات الدونباس الروسية؟ يبدو أن ما لم تنتج مجلة «Foreign Affairs» في فهمه، أن روسيا تترك جيدها ما الذي ينتظرها من عقوبات، ولهذا لم تلوح بعد ب«بطاقة الطاقة». على أوكرانيا التخلّص من التزامات الاتحاد الروسي الفيدرالي، ومثل هذه الخطوة لن تمنع روسيا من تنفيذ تهديداتها، بل تعطيلها الدعاية الإعلامية اللازمة التي ستشجعها عليها. في هذا التقرير المستقنى من ترجمات عدة. إضافة على عدم فهم ما يبغيه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. فلا أوكرانيا تمي تبعت انضمامها إلى الناتو، ولا أميركا تفهم أن زمن أحادية القطب قد ولى، ولا الناتو يدرك أن روسيا لو أرادت احتلال بلد مجاور لفلعت في ساعات لكنها لا تريد.

وفي التقرير أيضا إشارة إلى المآزق الذي وضعت أوكرانيا نفسها فيه بعدما احتفلت «بنصر صغير» في منطقة صغيرة. وقد يُعزّر كثيرون إن اعتقدوا أن روسيا قد تفقد السيطرة على حدودها في بلد تتمتع في فيه بالكثير من الامتيازات والتأثير والنفوذ والمصالح الأساسية. ولسوء حظ أوكرانيا، فإن السؤال الأكثر أهمية لم يتمحور حول مدى إمكانية هزمها بضعة آلاف من المسلحين، بل إذا ما كان لدى روسيا الإرادة المضيّ قدما في الصراع الدائر بقوتها العسكرية.



يفترض معظم الخبراء والمحليلين بشأن الصراع المستمر بين روسيا وأوكرانيا، أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يهدف إلى ضمّ مقاطعات الدونباس في أوكرانيا، وأجزاء أخرى من جنوب شرق البلاد، والتي اصطلح نظامه على تسميتها بـ«روسيا الجديدة». لكن هذا يتكّ في المجال مفتوحا أمام سؤالين اثنين: أولا، لم يتخذ بوتين قرارا باجتياح أوكرانيا مباشرة بعد استيلائه على شبه جزيرة القرم في آذار الماضي؟ وثانيا: إذا كان ينوي السيطرة على الدونباس، فهل سيسمح لقواته بقتل المدنيين وتدمير المدارس وغيرها من البنى التحتية؟

لوكين

في مقابلة حديثة أجراها مارت جيلمان، وهو معلق سياسي في الصحيفة الروسية الليبرالية «Novoye Vremya»، قدّم فلاديمير لوكين بعض الإجابات: ولوكين سياسي مخضرم شغل منصب مفوض بوتين في مجال حقوق الإنسان من عام 2004 إلى عام 2014. كما ملق روسيا في مفاوضات الغرب مع الرئيس الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش والمعارضة الديمقراطية في 20 شباط. بالنسبة إلى لوكين، الدونباس ليست الغاية والهدف: «ما من أحد في الكرملين يحتاج إلى جمهورية الدونيتسك أو جمهورية لوهانسك (الكيانات الانفصالية المسماة الدونباس)، أو روسيا الجديدة». ويقول: «سيشكل فوز روسيا بالدونباس هزيمة لكركين وخسارة لأوكرانيا». وفي ما يخص الهدف من تحريض الكرملين في المنطقة: «يفترض بنا أن ننسى أمر هذه الكيانات الانفصالية، والتركيبة على إفساح الرئيس الأوكراني بوروشنكو... فروسيا ستضغط بقوة لإفخاج بوروشنكو». التفاوض مع من يخطأه بوتين».

الولايات المتحدة وأوروبا الصغداء، بعد إيقاف حمام الدم هناك.

حكمة البدائل

كل ما سبق ذكره، بغرض صدق لوكين في تعامله مع جيلمان كونه يدرك جيدا طريقة تفكير بوتين. وهناك أدلة تدعم هذا الاستنتاج. ففي 31 آب، دعا بوتين كيف إلى ضرورة البدء بـ«مفاوضات جنّية ذات قيمة» حول التخطّيات السياسية للدولة والمجتمع في جنوب شرق أوكرانيا، مقترحا أن الهدف من اجتياح روسيا لشرق أوكرانيا هو محاولة لإغراء كيف للموافقة على فدرلة مقاطعات الدونباس. لكن حتى لو كان استنتاج لوكين خاطئا، فإن كيف لا تزال تنظر بواقعية إلى كل ما حولها وتسعى إلى التمسك بهذه المقاطعات التي سيطرت روسيا عليها. غير أنها لو قررت التخلي عن هذا الوضع توفير العالوي الروسية لتدعيم المساعداة الإنسانية، وتحديد الإغراء إعمار المنطقة، ما سيسمح بدوام تأثير الكرملين على السياسة في أوكرانيا من دون

دورية أميركية شهرية تختصّ في تحليل العلاقات الدولية

على طول الحدود. ونتيجة لذلك، كان أن أوكرانيا قد صرفت الكثير من

ضربة بوتين لكيف في توقيت كهذا ربما تكون رابحة حكما إلا أن اجتياح أوكرانيا لم يدخل أبدا ضمن حسابات روسيا

والدبلوماسية. أسسها إيرفينغ كريستول. واشتهرت بنشرها كتاب «نهاية التاريخ» لفرانسيس فوكوياما: بغض النظر عما إذا كان قرار وقف إطلاق النار بين أوكرانيا والانفصاليين قد أصبح ساري المفعول، إنه لمن الصعب النظر إلى هذا التطور أنه ليس نصرا لفلاديمير بوتين. ففي الأشهر القليلة التي سبقها، بدأ وكان أوكرانيا هي من يحقق الانتصارات على الأرض، لا تتكون دخول العقوبات السياسية الغربية على روسيا حيز التنفيذ. وبعد النكسات المتتالية، وجد الجيش الأوكراني نفسه في مواجهة حقيقية مع الانفصاليين. وقد يُعزّر المرء حين اعتقاده أن روسيا قد تفقد السيطرة على حدودها في بلد تتمتع في فيه بالكثير من الامتيازات والتأثير والنفوذ والمصالح الأساسية. ولسوء حظ أوكرانيا، فإن السؤال الأكثر أهمية لم يتمحور حول مدى إمكانية هزمها بضعة آلاف من المسلحين، بل إذا ما كان لدى روسيا الإرادة المضيّ قدما في الصراع الدائر بقوتها العسكرية. ونحن نذكر هذا جيدا الآن: ما من أمل لدى أوكرانيا في كسب هذه المعركة.

أدرك فلاديمير بوتين الإجابة على هذا السؤال في فترة لاحقة. وقد الصعب أن نتصور أن روسيا كانت لتسمح لأوكرانيا بتحقيق نصر عسكري على الأرض ضدّ وكلائها، خصوصا بعد ضخ الكثير من رأس المال السياسي للجمهور المقيم

الروسي قد نحتت في سحق القوات الأوكرانية، فإن يكون من الصعب تخيل ما قد يفعله جيش من أربعين ألف عسكري. قد لا تتمكن روسيا من احتلال كامل أوكرانيا، على رغم تباهي بوتين بالقدرة على الوصول إلى كيف خلال أسبوعين، لكنها ستتمكن حكما من رسم الخط الفاصل بين الأوكرانيين والانفصاليين في أي مكان تريده.

يخشون فلاديمير

بكر القادة الغربيون إطلاق تسمية «اجتياح» على مثل هذا الفعل، خوفا من اضطرابهم إلى اتخاذ خطوات تبدو استجاباتها تافهة، وقلقا من أن تكون أي خطوة مشابهة حجة لإزالة كل العوائق أمام ترذروا في وضع كل إمكانياتها في خدمة هذا «التوغل». فالقوات الروسية المتواجدة في شبه جزيرة القرم تستلعب فتح واجهة جنوبيه وقطع البلد إلى قسمين بسهولة تامة.

لا مبرر لمثل هذه المخاوف، طالما أن روسيا تستعمل على استخدام

لا تطمع روسيا في السيطرة على المزيد من الأراضي. وهي ألقت الضوء على نقاط ضعف أوكرانيا. وإذا ما خرق هذا الاتفاق، فإن الجيش الأوكراني سيكون الخاسر الأكبر، وستضطر روسيا على كيف لتوقيع اتفاقية أخرى من خلال محادثاتها أي مدينة تخارها. وبطريقة أو بأخرى، سيرجل الانفصاليون كافة معالم الوجود الأوكراني من المرافق الأساسية في المنطقة سعيا منهم إلى إقامة إقليم خاص بهدف السيطرة والدفاع.

اعتقادات خاطئة وأخرى راسخة

قد يخطئ القادة الغربيون فيما لو اعتقدوا أن ما سيقولونه أو لا يقولونه سيؤثر في القرار الروسي. وهناك اعتقاد راسخ بأن الاقتصاد الروسي يتطور بقوة. اعتقاد تقوده عدة اعتبارات محلية. لكن يبدو أن بوتين يتخوف من لوم الأزمات الروسية أكثر بكثير من أي

الأمر من هذه الزاوية. علما أن بوروشنكو قد يمضي قدما في التنديد بخطة للحكم الذاتي، خصوصا أنه يعلم أن أوكرانيا ستجبر على الموافقة على ذلك في نهاية المطاف.

توقعات

سيزداد الضغط على أوكرانيا في الأشهر القليلة المقبلة. إذ إن التفاوض مع الانفصاليين لن يستطيعوا التفاوض مع روسيا. وسيبقى شروط روسية صعبة وقاسية عليها. ففي الوقت الذي يستطيع فيه القادة الأوكرانيون اتخاذ قرارات سياسية صعبة تدعم الاستقرار في بلادهم، وتطور تقاهما حقيقيا مع روسيا، إلا أنها ستكون في موقع تفاوضي أسوأ بكثير من الذي كانت عليه عند بدء العمليات الإرهابية في حزيران. وقد يعثرى البلد موجة جديدة من عدم الاستقرار مع عودة كتاب المتطوعين من الجبهة. تحتاج

يبدو أن معركة أوكرانيا قد خسرت في الشرق وأن الغرب نجح في استقطاب كيف إلى محوره لكن روسيا القوية ستبقى متحفظة إزاء أبعاد تحوّل كهذا

أوكرانيا بشدة إلى إمدادات الطاقة من روسيا مع بداية فصل الشتاء. فاقترصها لا يزال يتخبط. ويشترط الغرب عليها لإفخاخها من الإفلاس، تحقيق الإصلاحات البرلمانية في تشرين الأول المقبل إبان فوزه بحملته الانتخابية، غير أنه سيكون رهيبا لأن بعد حصول مثل هذه التسويات السياسية كنتيجة للجزمة العسكرية. خلق نظام الحكم الأوكراني المتطرف جوّا لا يسمح بإقامة الحلول الوسط مع الانفصاليين. إما أن يحصل أي تطوّر في الأسباب القليلة المقبلة قد يلقي بظلاله على لامركزية السلطة أو على حقوق الإنسان الخاصة في المناطق الانفصالية، فإن شخصيات سياسية رفيعة المستوى ومنهم رئيس الوزراء ياتسنيوك، سيعملون جاهدين على تقييض أي فرصة للتسوية. فلم يكن قد تعجب يوم على إعلان ياتسنيوك اتفاق وقف إطلاق النار، حتى أعلن عن وجود نقاط ثلاث أساسية في ذهنه ذات أهمية: وقف لإطلاق النار، انسحاب القوات الروسية، وتأمين الحماية على الحدود الروسية - الأوكرانية.

ليس من الواضح ما إذا كان بوروشنكو أو بوتين يريان

تصريحات قد تصدر عن الغرب. سير الوقت الآن في مصلحة روسيا. وقد جاء مناسبا قرار دعوة الرئيس الأوكراني إلى انتخابات برلمانية في تشرين الأول المقبل إبان فوزه بحملته الانتخابية، غير أنه سيكون رهيبا لأن بعد حصول مثل هذه التسويات السياسية كنتيجة للجزمة العسكرية. خلق نظام الحكم الأوكراني المتطرف جوّا لا يسمح بإقامة الحلول الوسط مع الانفصاليين. إما أن يحصل أي تطوّر في الأسباب القليلة المقبلة قد يلقي بظلاله على لامركزية السلطة أو على حقوق الإنسان الخاصة في المناطق الانفصالية، فإن شخصيات سياسية رفيعة المستوى ومنهم رئيس الوزراء ياتسنيوك، سيعملون جاهدين على تقييض أي فرصة للتسوية. فلم يكن قد تعجب يوم على إعلان ياتسنيوك اتفاق وقف إطلاق النار، حتى أعلن عن وجود نقاط ثلاث أساسية في ذهنه ذات أهمية: وقف لإطلاق النار، انسحاب القوات الروسية، وتأمين الحماية على الحدود الروسية - الأوكرانية.

قواتها في سبيل تحقيق مكاسب سياسية على الأرض. يستطيع الانفصاليون - بمساعدة القوات الروسية - بعدد من المناورات حول ماريوبول وإحاطتها، فضلا عن قدرتهم على عزل المدافع عن حقوق الإنسان فيها، وإجبارهم على الاستسلام في نهاية المطاف. لكنهم قضاوا بدلا من ذلك أياما عدة في قصف الدفاعات بهدف تحريض أوكرانيا على توقيع اتفاقية وقف إطلاق النار.



شبه جزيرة القرم... القشة التي قصمت ظهر البعير

يبدو أن معركة أوكرانيا قد خسرت في الشرق وأن الغرب نجح في استقطاب كيف إلى محوره لكن روسيا القوية ستبقى متحفظة إزاء أبعاد تحوّل كهذا

اضطرار روسيا لإبتلاع البلد بأكمله. ومن هذا المنظور، فإن هزيمة المترددين المولدين لروسيا، وكذلك القوات الروسية النظامية والتي يُقدّر عددها بين 5000 و15 ألفا، ستكون شبه مستحيلة، كذلك، فإن استيعابهم سيأتي بنتائج عكسية تماما. وحتى لو خُزرت أوكرانيا، كما تأمل، فإنها ستبقى محاطة بحزام ناري صدي وغير آمن كما عادت منذ الاستقلال عام 1991: باعتبارها قناة نفوذ للتدخل الروسي في شؤونها الداخلية والسياسية - سواء بين الانفصاليين أنفسهم أو بينهم وبين ياتوكوفيتش الذي عارض الإصلاح والتكامل مع الغرب.

عندما سُئل عن تقديرته لفترة استمرار العنف، شرح لوكين قائلا: «لسنا على عجلة من أمرنا، على بوروشنكو الاستعجال، فكريسه الذي يجلس عليه تشتعل من تحته الخيزران، وليس كرسينا. غير أن الناس لا يرغبون في الموت. حصل كل ذلك بسبب اليقين الزائف لدى الأوكرانيين أنهم سيتمكنون من الفوز، فشرعوا في دعم عمليات مكافحة الإرهاب بنشاط». ويقول لوكين: «يرى الجميع الآن أنهم لن يستطيعوا الفوز، بعد أن تخطينا المرحلة العسكرية الأكثر حرجا».

خيارات بوتين

تعمل عبارات لوكين في طياتها الكثير من المعاني والدلالات، فهي أولا، تقدم إجابة على السؤال الذي طرح حول عدم اغتنام بوتين الفرصة لإجتياح أوكرانيا منذ بداية

وإذا كانت هذه هي الحال، فإن الطريقة المثلى لتخلص أوكرانيا من فخّ بوتين، تكون في التخلي عن مقاطعات الدونباس التي يسيطر عليها الانفصاليون والقوات الروسية. فيوتربع في تحويل الدونباس إلى مقاطعات لا فدرالية ذات حكم ذاتي، تساهم في إضعاف أوكرانيا، لكن، وبعد انقلبت الأمور لغير مصلحة بوتين، فقد تستعين كيف بمساعدة غربية تهدف إلى تعزيز قدرتها العسكرية الدفاعية، بما فيها بناء التحصينات على طول الحدود الجديدة مع روسيا وأطراف الدونباس. يُقدّر ضحايا بروسيا وحلفائها تنظيف الفوضى التي اقتلعوها في الدونباس، وأن تتخذ أوكرانيا قرار الانضمام إلى الغرب والعالم بكامل حريتها، وهي

النصر المزيّف

كتب مايكل كوفمان* لمجلة «National Interest»، وهي

* باحث في السياسة العامة في معهد كيتان - ويسلون